بسم الله الرحمن الرحيم

العدناني.. بين سطحية "المنظرين" وعمق الأئمة المجاهدين

لا يخفى على الناظر ما ظهر منذ قيام ما سمّي بـ"الربيع العربي" من تغير في خطاب قيادة القاعدة في خراسان، وقيادات بعض الأفرع وذلك بطرح ما لم يُعتد سماعه من المصطلحات والأطروحات الغريبة عن أدبيات التيار الجهادي، وقد كانت تُمجّ الأسماع من تلك الطروحات، ولكنها كانت تجد لها من التأويل مدّخلا عند الكثيرين من أبناء الجهاد؛ تارة بأن العبرة بالمقاصد ودلالة السياق، وأخرى بأن الأمر محتاجٌ إليه لاستمالة الناس وتقريبهم منا بعد أن "قاموا على الطغاة"، وبعضهم قال بل المقصود أن نقترب نحن من الناس فنخاطبهم بما لا ينفروا منه، ثم توالى الأمر في خطابات القوم حتى غدا لغة مستقرة عندهم وهُجرت – أو كادت – اللغة التي تعودناها في خطاب المجاهدين؛ لغة المفاصلة على أساس ملة إبراهيم، ولغة إبراء الذمة وتسمية الأشياء بأسمائها الشرعية، ولغة البيان والبلاغ المبين، وأصبح المرء لا يفرّق بين خطاب قيادة القاعدة وخطاب بعض الحركات "الإصلاحية" أو "التحررية" المنتسبة للإسلام أو حتى المنتسبة لـ"الوطن"، فكلّها يتحدث عن "تعديل الدستور" و"الحملات التحريضية الجماهيرية" ومحاربة الفاسدين والعناية بـ"شركاء الوطن" ومقاومة الاحتلال... إلخ، وقد رافق هذا التغير في الخطاب تغيرا – نراه حتميا ومتلازما – في منهجية العمل، وانعكس بطريقة مأساوية على واقع الساحات التي تمثّلت به، إلاّ أنه اصطدم بصخرة الدولة الإسلامية وكانت الشام هي جبهة الاشتباك والصدام بين المنهجين؛ منهج الدولة الإسلامية ومنهج القيادة الجديدة للقاعدة.

ولقد أخذت الدولة الإسلامية على عاتقها مواجهة هذا التغير – الذي آل إلى الانحراف – بكل مستويات المواجهة الواجبة بالشرع، وكان من أهمها النصح والإنكار بالحجة والبلاغ.. فاستل

الصارم العدناني سيف البيان، وفلق به هام السكوت عن الصدع بالواجب على أهل الكنانة ومن مثلهم؛ سائلا القوم: السلمية دين من؟ واستبرأ بعدها لمنهج أهل الجهاد ثم أعذر أخيرا إلى أمير القاعدة، وقد استنكر – حفظه الله – فيما استنكره على القوم تغير لغة الخطاب، وطالب قيادة القاعدة بالعودة إلى الخطاب الجهادي الأصيل، فخرج علينا من ينكر على استنكار الشيخ ويصفه لأجله بالسطحية وضحالة الفهم وغيرها.

والعجب من هؤلاء المنكرين على العدناني تغافلهم أو غفلتهم عن الكم الزاخر من كتابات مشايخ الجهاد الأعلام، والذين أوعبوا كثيرا في هذا الباب، وكذلك نسيانهم أو تناسيهم لخطورة قضية المصطلحات – عند كل العقلاء ومفكري الأمم – وضرورة ضبطها في الخطابات العامة المعبرة عن توجهات وسلوك الفئام من الناس، وقبل ذلك خطورة هذا الأمر من جهة الشرع والأدلة على ذلك مشهورة منثورة.

وإذا استعرضنا شيئا من لغة خطاب القيادة الجديدة للقاعدة وانتصار المقدسي وأمثاله لها بل ونعته لمن ينكرها بالسطحية والجهل ثم ذكرنا بعدها تأصيلات أئمة الجهاد وما وافقهم فيها الشيخ العدناني؛ فإنه سيتبين لنا أي الفريقين أحق بالسطحية وضحالة الفهم، والله المستعان.

خطاب الظواهري وإنكار العدناني:

لقد أكثر الشيخ الظواهري في خطابات "الربيع العربي" من الدعوة إلى "حملة جماهيرية تحريضية دعوية" و"العمل الشعبي الثوري التحريضي الدعوي" للـ"ضغط على المجلس العسكري الذي لا يتحرك إلا تحت الضغط" بـ"جمهور الأمّة"، "وليجبروا القوى الفاسدة في مصر على الرضوخ لمطالب الشعب"، وأهمّها "الإصلاح التشريعي والقضائي"، بـ"تعديل المادة الثانية من الدستور"، ولـ"نتفق على صيغة محددة" [علماً "أن أغلبية الشعب تؤيدها"] "تنصُّ على أنَّ الشريعة الإسلامية هي مصدر

التشريع"، "ولا بد من عزم على تطهير البلاد من الساسة الفاسدين ومصاصي دماء الشعب والمرتشين"... وكل هذه العبارات متكررة في عشرات الخطابات للظواهري منذ أحداث "الربيع العربي"، ووصف فيها كذلك النصارى الأقباط في مصر بأنهم "شركاء الوطن" للمسلمين، فقال "أود هنا أن أكرر موقفنا من نصارى الأقباط، وأننا لا نسعى لمعركة معهم، لأننا منشغلون بمعركة مع عدو الأمة الأكبر، ولأنهم شركاؤنا في الوطن، الذين نود أن نعيش معهم فيه في سلام واستقرار".

فانظر إلى الدخن الذي تحمله هذه الإطلاقات، وما يمثله استخدامها من قرائن ظاهرة على الحيد عن المنهج الشرعي الحق في التعامل مع الأحداث، وبالتالي النكول عن الواجبات الشرعية القطعية والتي على رأسها دفع الصائل وقتال المرتدين، فأين تحريض المؤمنين على القتال، وحثهم على حمل السلاح والجهاد والاستشهاد، ومفاصلة المرتدين والطواغيت ومناجزتهم حتى يكون الدين كله لله، والدعوة إلى ذلك دعوة صريحة تبرأ بها الذمة ويُنتهج فيها النهج النبوي في البيان وإقامة الحجة؟ أين ذلك من دعوة الظواهري للقيام بـ"الحملة الجماهيرية الدعوية" و"العمل الشعبي الثوري"؟ ثم انظر إلى الدخن الذي تحمله عبارة "شركاء الوطن" و"جمهور الأمة" و"أغلبية الشعب" وإجبار القوى الفاسدة على "الرضوخ لمطالب الشعب".

كل هذا دفع الشيخ العدناني إلى البراءة من هذا الغبش والانحراف بقوله: "إن الخلاف بين الدولة والقاعدة ليس على قتل فلان، أو على بيعة فلان، ليس الخلاف معهم على قتال صحوات أيدوا ما عليه سابقًا في العراق، ولكن القضية قضية دين اعوج، ومنهج انحرف، منهج استبدل بالصدع بملة إبراهيم، وبالكفر بالطاغوت، وبالبراءة من أتباعه وجهادهم: منهجًا يؤمن بالسلمية، ويجري خلف الأكثرية، منهجًا يستحي من ذكر الجهاد والصدع بالتوحيد، ويستبدل بألفاظه الثورة، والشعبية، والانتفاضة، والنضال، والكفاح، والجماهيرية، والدعوية".

وقال "وأصبح النصارى المحاربون، وأهل الأوثان من الهندوس والسيخ وغيرهم: شركاء الوطن؛ يجب العيش فيه معهم بسلام واستقرار ودعَة، كلا والله، ما كان هذا منهج الدولة يومًا ولن يكون، لا

يمكن للدولة أن تسير مع الناس: إن أحسنوا أحسنت، وإن أساؤوا أساءت، وسيبقى منهج الدولة الكفر بالطاغوت، وإعلان البراءة منه ومن أهله، وجهادهم بالسيف والسنان، والحجة والبرهان، فمَن وافقها: رحّبت به، ومَن خالفها: فلن تلقي له بالاً حتى ولو سمى نفسه بالأمة، وحتى لو بقيت وحدها في فسطاط، والعالم في فسطاط آخر".

وقال "عذراً أميرَ القاعدة، عذراً أيها الدكتور، لقد بايَعنا اللهَ على أن نقول الحقّ حيثُما كنّا لا نخاف في الله لومة لائم... وندعوكَ ثانياً لتصحيح منهجك بأن تصدعَ بتكفير الروافض المشركين الأنجاس، وتصدع بردّة الجيش المصري والباكستاني والأفغاني والتونسي والليبي واليمني وغيرهم من جنود الطواغيت وأنصارهم، واستبدال نعتهم بالمتأمركين وغيرها من النعوت، وتُسمّيهم بما سمّاهم به ربّ العالمين: بالطواغيت والكفّار والمرتدّين، وعدم التلاعب بالأحكام والألفاظ الشرعية كقولك: الحكم الفاسد، والدستور الباطل، والعسكر المتأمركين.

كفاك حتّى لا تؤدي إلى ضلالٍ كبيرٍ وفسادٍ عريض كما أوصانا وحذّرنا الزرقاويّ والليبيّ أمراء القاعدة رحمهما الله، وأن تدعوَ المسلمين لجهاد وقتال أولئك كلّهم دعوةً صريحة بنبذ الألفاظ والمصطلحات الدخيلة على المجاهدين كالمقاومة الشعبية والانتفاضة الجماهيرية والحركة الدعوية والشعب والجماهير والكفاح والنضال وغيرها، بألفاظ الجهاد الشرعية الواضحة، والدعوة الصريحة لحمل السلاح ونبذ السلميّة وخصوصاً في مصر لقتال جيش الردّة، جيش السيسي فرعون مصر الجديد".

وبدل أن يقف من يوصفون بـ"علماء الجهاد" و"منظرو التيار" وقفة شرعية صحيحة مع هذا التغير والانحدار في الخطاب وينصروا دعوة الشيخ العدناني وما أمر به من معروف وما نهى عنه من

منكر، انقلب الأمر وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا، وخرج علينا المقدسي بهجومه السافر الجائر فقال في بيانه:

"وتعلمون أن تنظيم الدولة وناطقها وشرعييها ما فتئوا يتطاولون على كبرائنا وعلمائنا ومشايخنا، خصوصا أخانا وحبيبنا الشيخ أيمن الظواهري، وأنه لما عصوا أمره ورفضوه، وشهد عليهم المجاهدون بخلاف ما ادعوه من عدم بيعتهم له، صاروا يبررون معصيتهم وخروجهم على المجاهدين وتمردهم على قياداتهم ورفضهم لنصائحهم بدعوة انحراف القاعدة عن نهج الجهاد، وبكلمات يتصيدونها هنا أو هناك في خطابات قاداتها لا غبار عليها شرعا.

ويدل انتقادها وتحاملهم بسببها على سوء فهمهم وسوء مقاصدهم، كل ذلك ليبرروا معاصيهم ويبرروا تمردهم وشقهم لصف المجاهدين، وهي مبررات تثبت وتؤكد سطحيتهم وضحالة تفكيرهم وتهلهل فقههم ونزوعهم إلى الغلو وتضخيم المسائل وإعطائها أكبر من حجمها، ولقد سمعت خطاب العدناني الأخير الذي يمثل عينة من ذلك – ومن كثير من غيرها مبثوث في خطاباتهم الأخرى –".

والعجيب أن المقدسي في نفس البيان يقع بما نهى عنه واستهجنه منا فيطلب إلغاء كلمة "مولانا" من مقدمة كلمات أمير المؤمنين "لما لها من إيحاءات ومدلولات" على حد تعبيره**!!**

<u>تأصيلات الأئمة المجاهدين في مسألة ضبط مصطلحات الخطاب:</u>

وإذا ما نظرنا في كلام أئمة الجهاد الذين أناروا لنا الدرب نجد كلاما مغايرا لاستخفاف "المنظرين" بمسألة تغيير الخطاب وتبديل المصطلحات وجعلهم إنكار ذلك من باب "تصيّد الألفاظ" وأن الأمر "لا غبار عليه شرعا"... فتأمل أخي في كلام هؤلاء الأئمة لتعلم حقيقة الأمر التي غفل – أو تغافل – عنها المنظرون.

يقول الإمام الشهيد أبو مصعب الزرقاوي في خطبة له خاصة بهذا الأمر جعلها بعنوان "قل أأنتم أعلم أم الله":

"فإن أي جماعة تنشد تغيير واقع الأمة وذلها وإعادة مجدها السالف وعزها، لا بد أن تمتلك في نفسها مجموعة من العوامل التي تؤهلها وتمكّنها من تحقيق بغيتها والوصول إلى غايتها، وأُسُّ هذه العوامل وأصلها أن يكون لها خطاب دعوي ديني واضح المعالم، ثابت الأركان، يقوم على أسس محكمة متينة تستمد منه الجماعة أسباب حياتها ومقومات استمرارها فإذا ما ترافق هذا الخطاب مع عمل جهادي منظّم التزم أفراده مقتضيات هذا الخطاب تأتّى للجماعة الحصول على ما تطلبه وتحقيق ما تنشده".

"إن حدود الشرع مبنية على فهم هذه المصطلحات، وإن الخلل في فهم هذه المصطلحات التي خاطبنا الشارع بها يؤدي إلى إفساد فهم المخاطبين بهذا الدين، ومن ثمّ إفساد عبادتهم لله رب العالمين".

"... ولذا كان الخطاب الدعوي للمجاهدين أهل الطائفة المنصورة يقوم على المصطلح الشرعي في مخاطبة المدعوّين لا غيره ما أمكن ذلك، وذلك أن المصطلح الشرعي هو الأقوم والأهدى لما وضع له.

أما غيره من المصطلحات المخترعة المولّدة فلا يؤمن معها الزلل والخلل؛ لكونها من نِتاج العقول غير المعصومة فضلا عما فيها من إعراض عن هدي الكتاب والسنة وما ورد عن سلف هذه الأمة؛ فكان التمسك بهذه المصطلحات المبتدعة والشغف بها والتنافس فيها ليس له من مبرر غير اتباع الهوى مع التسليم بأنه استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير.

فأهل الطائفة المنصورة يعتصمون بالكتاب والسنة لفظًا ومعنى، فكما يعتصمون بمعاني الكتاب والسنة خوف الزيغ والضلال كذلك يعتصمون بألفاظهما خوف الزيغ والضلال.

إذ الزيغ والضلال كما يعرض من جهة المعاني فإنه يعرض كذلك من جهة الألفاظ والمباني، بل الألفاظ بوابة المعاني ومدخلها وقوالبها التي تصب فيها، فما لم تكن تلك الألفاظ محكمة للحق جامعة وللباطل مانعة فستكون مدخلا للزيغ والضلال.

إذ الألفاظ للمعاني أتمّة، وعليها أدلة، وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة، ولذا فأهل الطائفة المنصورة يقصدون الألفاظ الشرعية ليضبطوا بها تلك المعاني فلا يشذّ عنهم منها شيء.

قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3].

فنص تعالى على أنه قد أكمل لنا الدين وأحكمه، وهذا الكمال شامل للمعاني والمباني، فالإعراض عن استعمال المصطلح الشرعي فيه انتقاص لهذه الشريعة الغراء".

"... وقد نفى سبحانه وتعالى العِوج عن كتابه فقال سبحانه: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر: 27-28].

قال ابن كثير: (وقوله جلَّ وعلا: {قُرْآَنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر: 28] أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه، ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله اللّه تعالى كذلك، وأنزله بذلك {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر: 28] أي يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد) انتهى كلامه رحمه الله.

فكان الخطاب الدعوي المبني على المصطلح الشرعي خطابًا دعويًا غير ذي عوج، وبالمقابل يكون الخطاب الدعوي المبني على غير المصطلح الشرعي خطابًا دعويًا ذا عوج وإن ظن أصحابه أنهم قد اعتلوا ذروة سنام الفصاحة وامتلكوا ناصية البيان.

إن أهل الطائفة المنصورة يدركون بأن الشرع في استخدامه لمصطلحات دون غيرها قد أعطى هذه المصطلحات معاني ودلالات خاصة، وما ذاك إلا رغبة في ربط هذه المعاني والدلالات بتلك المصطلحات، بحيث إذا تم التعبير عن هذه المعاني والدلالات بغير تلك المصطلحات واستبدالها بمصطلحات محدثة لم يفد ذلك قطعًا أين ما أراده الشرع من معاني ودلالات نفيًا وإثباتًا.

ومن اليقين عند أهل الطائفة المنصورة أن ربط الشرع لمعنى من المعاني بمصطلح ما يعني أن هذا المصطلح هو وحده الأجدر والأصلح في التعبير عن هذا المعنى مهما تبدلت الأحوال وتغيرت الأزمان، إذ هذا الدين تنزيل رب العالمين."

"قال ابن القيم رحمه الله: (بل من تأمل المقالات الباطلة والبدع كلها وجدها قد أخرجها أصحابها في قوالب مستحسنة وكسوها ألفاظًا يقبلها بها من لم يعرف حقيقتها، فلا إله إلا الله كم ها هنا من مزلة أقدام ومحل أوهام؟ وما دعا محق إلى حق إلا أخرجه الشيطان على لسان أخيه ووليه من الإنس في قالب تنفر عنه خفافيش البصائر وضعفاء العقول وهم أكثر الناس، وما حذر أحد من

باطل إلا أخرجه الشيطان على لسان وليه من الإنس في قالب مزخرف يستخف به عقول ذلك الضرب من الناس فيستجيبون له، وأكثر الناس نظرهم قاصر على الصور لا يتجاوزونها إلى الحقائق فهم محبوسون في سجن الألفاظ مقيدون بقيود العبارات كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} [الأنعام: 112-113]. انتهى كلامه رحمه الله [إعلام الموقعين عن رب العالمين].

ولعل خير مثال لما ذكره هؤلاء الأئمة ما يروّج له في هذه الأزمان، وهو ما اصطلح عليه الناس من تسمية الكفار والمشركين غير العسكريين بالمدنيين، وعليه فلا يجوز عندهم استهدافهم بالقتل أو التعرض لهم، وهذا المصطلح وما ترتب عليه من أحكام باطل منقطع النسبة والنسب لشرع الله ودينه لفظا ومعنى؛ لأن ميزان التفريق في الإسلام لا يقوم بين مدني وعسكري، وإنما يقوم على أساس التفريق بين المسلم والكافر.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن: 2].

فالمسلم معصوم الدم أيًّا كان عمله ومحله، والكافر مباح الدم أيًّا كان عمله ومحله، ما لم يكن له عهد أو أمان".

"... ومثل هذا المصطلح ما فتن به كثير من رجالات الدعوة اليوم وظنّوه طريقا للتمكين لدين الله وشرعه، ورموا كل من لا يوافقهم عليه بكل نقيصة، وهو ما يعرف اليوم بعلم السياسة، المأخوذ عن كفرة الغرب والشرق، وفتنته اليوم كفتنة علم الكلام، يوم أن ظهر للصد عن دين الله الحق،

والإعراض عن هدي الكتاب والسنة وكلاهما مما جاءنا من كفرة الغرب أساسًا مع فسادهما في أنفسهما".

"... بل إن القرآن الكريم قرر لنا قاعدة هامة وهي: عدم جواز استخدام المصطلح الذي قد يوهم معنى باطلاً، وإن كان هذا المعنى الباطل غير مرادف لهذا المصطلح أصلا، بل ولم يخطر ببال المتكلم فكيف بما هو فوق ذلك من المصطلحات المتضمنة للمعاني الباطلة في أصل وضعها.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: 104].

قال السعدي رحمه الله: (كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين: (راعِنا)؛ أي: راع أحوالنا فيقصدون بها معنى صحيحا وكان اليهود يريدون بها معنى فاسدًا، فانتهزوا الفرصة فصاروا يخاطبون الرسول بذلك ويقصدون المعنى الفاسد فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سدًا لهذا الباب). انتهى كلامه رحمه الله [تفسير السعدي].

ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يقولن أحدكم للعنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم). [قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: 7710 في صحيح الجامع].

قال الخطابي رحمه الله: (إنما نهاهم عليه السلام عن تسمية هذه الشجرة كرمًا لأن هذا الاسم مشتق عندهم من الكرم، والعرب تقول رجل كرم بمعنى كريم وقوم كرم أي كرام، فأشفق صلى الله عليه

وسلم أن يدعوهم حسن أسمائها إلى شرب الخمر المتخذة من ثمرها، فسلبها هذا الاسم وجعله صفة للمسلم الذي يتوقى شربها ويمنع نفسه الشهوة فيها عزّة وتكرّمًا)، انتهى كلامه رحمه الله.

وقال ابن القيم: (ومن عرف سر تأثير الأسماء في مسمياتها نصرةً وميلاً عرف هذا، فسلبها النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاسم الحسن وأعطاه ما هو أحق به منها وهو قلب المؤمن)، انتهى كلامه رحمه الله.

والناظر في تاريخ الإحداث في دين الله يجد أن المصطلحات المجملة التي قد يُفهم منها معان بعضها حق وبعضها باطل، كانت هي من أهم طرائق المبتدعة لإبطال الحق وإحقاق الباطل تسترًا خلفها ولوذًا بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب ولا في السنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها، فهذه ليست على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول صلى الله عليه وسلم أقر به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنكره.

ثم التعبير عن تلك المعاني، إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبر بغيرها أو بين مراده بها؛ بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي؛ فإن كثيرًا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة، ومعان مشتبهة)، انتهى كلامه رحمه الله [مجموع الفتاوى/ فصل في المراد بلفظ الحروف].

فالنجاة هي في التمسك بما جاء به الشرع وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، فنطلق ما أطلقوا من الألفاظ والمصطلحات ونسكت عما عنه سكتوا".

"إن قضية المصطلح في الخطاب الدعوي قضية عظيمة الأهمية جدًا، إذ المصطلح يتجاوز صورته الظاهرة كمجموعة حروف أو كلمات بما هو أكثر أبعادًا وأعظم غورًا ذلك أن المصطلح في خطاب الداعية هو المعبر الأول عن الهوية، كما أنه المعبر عن درجة الانتماء لهذه الهوية".

"ثم إن أهل الطائفة المنصورة في دعوتهم الخلقة للحق لا يخاطبونهم بلغة مجملة مضطربة هروبًا من التصريح بما يجب التصريح به كما لا يخاطبونهم بتكلفٍ وتقعرٍ مذموم، أو بمصطلحات مولّدة غريبة، قد تحمل من الباطل أكثر مما تحمله من حق فضلا عما فيها من هجر للمصطلحات الشرعية، وهم في ذلك كله ينطلقون من القرآن الكريم ذلك الكتاب المعجز فخطابهم الدعوي خطاب قرآني في لغته كما أنه قرآني في مضمونه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71].

فأمرنا الله تعالى بأن نقول قولاً سديدًا، والقول السديد هو ما كان سديدًا في معناه سديدًا في مبناه تبعًا للمخاطب به، وأسدُّ القول وأحسنه قول الله سبحانه وتعالى الذي أنزل للناس كافة.

إن الخطاب الدعوي لأهل الطائفة المنصورة يتميز عن غيرهم بميّزات منها:

أولاً: عدم التكلف في العبارة؛ فالتكلف مذموم مطلقا وقد جاءت الشريعة بالنهي عنه...

ثانيًا: البعد عن الإجمال الملبس الذي يوقع المدعو في الحيرة والتخبط، فلا يدري معه ما الذي يريده الله منه، فقد أنزل الله تعالى كتابه مفصلا خاصة فيما يتعلق بأصل الدين من الإيمان والتوحيد، وما يتعلق بما يجب فعله وما يجب تركه من الواجبات والمحرمات، فكان الإجمال في هذه المواضع عند العلم بالتفصيل من الكتمان الذي حرمه الله وتوعد صاحبه.

قال تعالى: {وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} [الأنعام:126]

.... فالتفصيل لمسائل الدين الكبار ومسائله الأصلية مانع من الضلال ووقاية من الانحراف" انتهى كلامه رحمه الله.

وقال العلامة الشهيد أبو يحيى الليبي في رسالته "حرب المصطلحات" موضحا أساليب أعداء الله في حربهم للإسلام:

"ومن بين هذه الأساليب المتبعة – والتي لا تكاد تنفك عن سبيل من سبل سعيهم المتنوع والمتعدد – أسلوب يمكن أن نسميه بـ "حرب المصطلحات".

... ولأهمية هذا الأسلوب؛ كانت – ولا زالت – تعقد لأجله الندوات والمؤتمرات للتشاور في انتقاء "المصطلحات" والصفات التي يرجى من ورائها حصول المرام".

"... وإن مما يزيد الأمر خطورة، ويبين أن هذا الأسلوب قد آتى أكله أو يكاد؛ أن ينساق بعض المسلمين، بل بعض قيادييهم؛ وراء أعدائهم في الترويج لكثير من المصطلحات والأسماء المستحدثة والمنتقاة من قبل الأعداء بدقة بالغة، ويتلقفوها من غير روية ولا تأن، بل ربما يضيفون

عليها كثيرا مما يحسنها ويرغب فيها ويؤكد صحة شرعيتها، فصار كثير منها مألوفا لدى الناس، ركنت إليه نفوسهم، وسكنت عقولهم، واطمأنت قلوبهم، فلا عجب أن تجد نتيجة ذلك أن ينكروا إنكارها، ويحتجوا على محاولة استبدال غيرها بها.

ولا جرم أنهم باستعجالهم في تلقي تلك المصطلحات وأسلمتها قد جنوا على أنفسهم وعلى أمتهم جناية عظيمة من حيث لا يدرون؛ وبذلك قدموا لأعدائهم خدمة سخية طالما سعوا لأن يجدوا لها مَنفذا ومُنفِّذا".

"فعلى المسلم أن يكون يقظا منتبها عند التقاطه لأي مصطلح جديد، وأن يحرص على الالتزام بالأسماء الشرعية، ففيها الكفاية والغنية عما دونها، وأن يستقبل ما تبثه وسائل الإعلام بحذر، فهي غالبا ما تقدم السم فيما نحسب أنه عسل، فيلعقه بعضهم مغترين بألوانه وأشكاله، فلا يستيقظون إلا حيث تتهاوى قواهم، وتذهب حرماتهم، ويمسخ كثير من شعائر دينهم، فيضيفون مرضا جديدا مزمنا في جسد أمتهم الذي أنهكته الجراح وآلمته القروح، مما يستدعي زيادة تكليف وعناء في علاجه، وقد كان يُغني عنه سد الباب الذي يتسبب فيه وإغلاق المسالك المؤدية إليه".

وقال رحمه الله في رسالته "جهاد.. أم مقاومة" موضحا لأهمية ضبط الخطاب بلغة الشرع:

"للمصطلحات الشرعية بألفاظها المحفوظة المضبوطة هيبتها ومكانتها في القلوب، وقدرتها الوافية الكافية لتحديد المطلوب، وذلك لأنها أدل ما تكون على المعنى المراد منها، وآصرة اللفظ بالمعنى آنذاك متينة وطيدة بحيث لا يتخللها ضعف ولا يوهنها تجاذب المرادات وتنازع الاحتمالات، لا سيما التي كثر ترددها في الكتاب والسنة وعلى ألسنة الفقهاء والعلماء وأجروها في ثنايا كتبهم ومصنفاتهم، فكيف إذا انضاف إلى ذلك تحديد المعنى وبيان المقصود، فيكون المبنى – اللفظ – مطابقاً للمعنى ودالاً عليه دلالة لا يداخلها لبس ولا يشوش عليها حدس.

وفي المقابل حيثما زعزعت قواعد المصطلحات الشرعية وقفز المستخدمون إلى سواها – سواء مع قيامها حيناً وحيناً أو مع إقصائها والتنكر لها رأساً – فإن إشكالات شرعية ستظهر وأحكاماً مُحكمة ستحوَّر، وحقائق ثابتة راسخة ستُغير، وأبواباً من المجادلات ستفتح، وذلك تبعاً لقوة إيجاد وطرح المصطلح الجديد المحدث أو ضعفه، خاصة إذا كان هذا المصطلح الناشئ قد لاكته ألسن الأمم الأخرى من المغضوب عليهم والضالين وتوابعهم، وأجرته لمعان تبنتها وحددتها، فلئن كان الأمر كذلك فسيؤدي إلى خلط واختلال واضطراب لا يُرجى زواله بيسر ولا انتهاؤه عند مدى.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْوَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: 104]، تُرى لماذا نهى الله عباده المؤمنين أن ينادوا نبيهم صلى الله عليه وسلم ويخاطبوه قائلين له؛ "راعنا"، وهم يقصدون – ولا يريدون غيرها – انظرنا أي من الرعاية، أوليسوا هم الذين امتلأت قلوبهم حباً لنبيهم وتوقيراً وتعزيراً وتبجيلاً له، فما عسى أن يخدش في حبهم له وتعظيمهم إياه وصيانتهم لجنابه أن ينادوه صلى الله عليه وسلم بـ "راعنا".

إن هذه الكلمة – راعنا – لما كانت حمالة أوجه، فتجري على الألسنة ويراد منها "الرعاية" و "النظر"، وهو وجه الخير هنا، فكذلك قد يقصد بها "الرعونة" و "الحمق"، وهو الوجه الآخر القاتم الخسيس، ولأن من ناطقيها من يطلقها ويُريد بها هذه أو تلك؛ سد الله هذا الباب في وجه مروجي الشر وقطع الوسلية إليه، فمنع من مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بها صيانة له وقطعاً لدابر الخبث الذي كان يضمره له أعداؤه، وتنزيهاً للصحابة الكرام ومَن بعدهم مِن أن يُشاركوا أعداءهم في استعمال "كلمة" مبطنة بالنقيصة والطعن على نبيه صلى الله عليه وسلم، وأرشدهم إلى كلمة نزيهة مصونة يستقلون بها ولا مسرب فيها لأهل الدسائس والخسة، يلجون من خلاله لنيل مآربهم والتنفيس عما تُكنه قلوبهم وتخفيه صدورهم؛ {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ

سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء: 46].

إذاً للألفاظ مدخلٌ في النيل من الشريعة، وقد تحوي منافذ للطعن فيها وتحريف أحكامها وتزييف حقائقها وتلويث صفائها، فالتهوين من شأنها والتقليل من أهمية التقيد بها بأية حجة كانت ستُدفع ضريبته حتماً، وقلما موطن استبدل فيه اللفظ المحدث بالشرعي إلا كان لمقصد وغاية أرادها المُبدِّل المستعمل، ومهما أقيم لذلك من مسوغات وحجج فهي لن ترقى إلى مستوى المعارضة لأحقية المصطلح الشرعي في البقاء والإجراء، ولو لم يكن في تغييره إلا تناسي المصطلح الشرعي شيئاً فشيئاً لكفى، فكيف إذا انضم إلى ذلك توسيع المعنى أو تضييقه ورسم صورة جديدة له تُلائم اللفظ الجديد وتُناسبه، ومن ثم إدخال ما ليس من الدين فيه، أو إخراجه منه، وهو خطوة أولى لتبديل الشرع ومزجه بدخائل الأفكار وخسائس الأهواء.

وما أكثر ما ابتلي المسلمون بذلك قديماً وحديثاً، وهو داء عضال أصاب مقاتل العقيدة والفقه والتفسير والأصول والآداب وغيرها مما لم تزل الأمة تعاني منه وتصارع نفسها للتخلي عنه... وهيهات، والأمثلة على ذلك من الواقع لا تكاد تحصى".

".... فالمقصود إن الله أغنانا بكتابه وسنة نبيه بتسميات كافية شافية مؤدية للمقصود وموصلة للمطلوب ومحددة للمعنى وكاشفة للحقيقة، ولم يكن اختيار ذلك الاسم من الله سبحانه لهذا المسمى بغير حكمة – سواء أدركنا ذلك أم لا – فينبغي أن نؤكد على إبقائه وإحيائه وإبدائه ونفي ما سواه وإقصائه حتى ينحت في أذهان الجيل، وننفرد ونتميز به عن مشابهة الأمم الأخرى، ونحتفظ بهويتنا الإسلامية كاملة، ونتوقى بذلك الانزلاق من خلال أبواب المصطلحات إلى مفاهيم وتصورات وأفكار منحرفة يُلزمنا بها أعداؤنا وفق مراداتهم وفهومهم، فنحاول رفعها أو دفعها، فلا نجد لذلك سبيلاً،

لأننا فتحنا على أنفسنا باباً كنا في غنى تام عنه؛ ألا وهو تغيير المصطلحات وتبديل الكلمات" انتهى كلامه رحمه الله.

فهل فقه "المنظرون" ما سطرّه هؤلاء الأئمة الأعلام أم غفلوا عنه؟! أم أنهم تغافلوا عنه ليتمّ لهم القدح بما لم يرُق لأهوائهم؟!

وهل أدركوا أن إنكار الشيخ العدناني على من غيّر وبدّل وانحرف في الخطاب ليس مجرد "تضخيم للمسائل" و"تصيّد للألفاظ"؟؟

ومن يا ترى أحرى بوصف "ضحالة التفكير" و"تهلهل الفقه" و"السطحية"؟؟

ومن هو الأحرص على حفظ منهج وخطاب المجاهدين؟؟

والحمد لله رب العالمين

وكتب عبدالله بن فواز آل عتيق

أبو عتيق النجدي